(٢١) سلسلة

قصص الأنبياء

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

تأليف

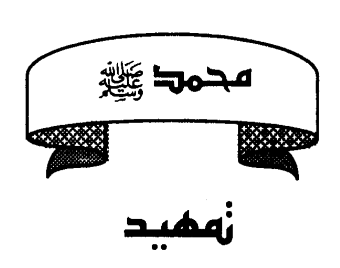
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران

١٥ شارع الشيخ محمد عبده

خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	٩٩ / ١٨١٩٠
ترقيم دولي	977-5096-61-8



تمهيد

* ديانات العرب قبل الإسلام :

كان معظم العرب اتبعوا دعوة إسماعيل - عليه السلام - حين دعاهم إلى دين إبراهيم عليه السلام وقد كان إسماعيل رسولاً نبيًا فكانت تعبد الله وتوحده وتدين بدينه ، حتى طال عليهم الأمد (الزمن) ونسوا حظًا مما ذكروا به ، إلا أنهم بقى فيهم التوحيد وعدة شعائر من دين إبراهيم ، حتى جاء عمرو بن لحي رئيس خزاعة وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين فأحبه الناس ودانوا له ظنًا منهم أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء ، ثم سافر إلى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان ، فاستحسن ذلك ، وسول له الشيطان أن يجلب من هذه الأوثان إلى جزيرة العرب ، وقد كانت الشام محل الرسل والكتب ، فقدم ومعه هبل وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله ، فأجابوه ، ثم لم يلبث الحجاز

أن تبعوا مكة ، لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم .

ومن أقدم أصنامهم مناة ، كانت بـالمشلل على ساحل البحر الأحمـر بالقرب من قديد ، ثم اتخـذوا اللات في الطائف ، ثم اتخذوا العـزى بوادي نخلة ، هذه الثلاث أكبر أوثانهم ، ثـم كثر الشرك ، وكثرت الأوثان في كل بقعـة من الحجاز ، وكان لعمرو ابن لحي رئي من الجـن ، فـأخـبـره بأن أصنام قـوم نوح - ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرا - مدفونة بـجدة فأتاها فاستثارها ، ثم أوردها إلى تهامة (صحيح البخاري ١/ ٢٢٢) .

فلما جاء الحج دفعها إلى القبائل ، فذهبت بها إلى أوطانها، حـتى صار لكل قـبيلة صنـم ، ثم في كل بيت صنم وقد مـلأوا المسجد الحرام بالأصنام ، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا ، فجعل يطعنها حتى تساقطت ، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت .

وهكذا صار الشـرك وعبـادة الأصنام أكبر مظهـر من مظاهر دين أهل الجاهليـة ، الذين كانوا يزعمـون أنهم على دين إبراهيم (مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

١ - كانوا يعكفون عليها ، ويلتجئـون إليها . . ويهتفون بها ويستغـيثون بها في الشدائد ويدعـونها لحاجاتهم ، معتـقدين أنها تشفع لهم عند الله ، وتحقق لهم ما يريدون .

٢ - وكـانوا يحجـون إليهـا ويطوفون حـولها ، ويتـذللون

عندها، ويسجدون لها .

٣ - وكانوا يتقربون إليها بأنواع من القرابين ، فكانوا يذبحون ويخرون لها وبأسمائها .

وهذان النوعان من الذبح ذكرهما الله تعالى في قوله : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ [المائدة : ٣] ، وفي قوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

٤ - وكان من أنواع التقرب أنهم كانوا يخصون للأصنام شيئًا من مآكلهم ومشاربهم حسبما يبدو لهم ، وكذلك كانوا يخصون لها نصيبًا من حرثهم وأنعامهم ، ومن الطرائف أنهم كانوا يخصون من ذلك جزءًا لله أيضًا .

٥ - وكان من أنواع التقرب إلى الأصنام النذور في الحرث والأنعام .

٦ - وكانت منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

وكانت العرب تستقسم بالأزلام ، والزلم : القدح الذي لا ريش فيه ، وكانت الأزلام ثلاثة أنواع : نوع فيه « نعم و لا » كانوا يستقسمون بها فيما يريدون من العمل من نحو السفر والنكاح وأمثالها ، فإن خرج « نعم » عملوا به وأن خرج « لا » أخروه عامه ذلك ،ونوع فيه المياه ، والدية ، ونوع فيه « منكم » أو « من غيركم » أو « ملصق » فكانوا إذا شكوا في نسب أحدهم

ذهبوا به إلى هبل ، ومعهم جزور ، فأعطوها صاحب القداح ، فإن خرج « منكم » كان منهم وسيطًا وإن خرج عليه « من غيركم» كان حليفًا ، وإن خرج عليه « ملصق » كان على منزلة فيهم ، لا نسب ولا حلق . ويقرب من هذا الميسر والقداح ، وهو ضرب من ضروب القمار ،وكانوا يقتسمون به لحم الجزور التي يذبحونها بحسب القداح .

وكانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين، والكاهن، هو من يتعاطى الإخبار عن الكوائن في المستقبل ، ويدعى معرفة الأسرار ومن الكهنة من يزعم أن له تابعًا من الجن يلقى عليه الأخبار ، ومنهم من يدعى إدراك الغيب بفهم أعطيه ، ومنهم من يدعى معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله ، وهذا القسم يسمى عرافًا ،كمن يدعى معرفة المسروق ومكان السرقة والضالة ونحوها. والمنجم من ينظر في النجوم أي الكواكب ، ويحسب سيرها ومواقيتها ، ليعلم بها أحوال العالم وحوادثه التي تقع في المستقبل والتصديق بأخبار المنجمين هو في الحقيقة إيمان بالنجوم ، وكان من إيمانهم بالنجوم الإيمان بالأنواء ، فكانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا .

* كيف انتشرت اليهودية فى بلاد العرب

دخلت اليهودية اليمن من قبل تبان أسعد أبي كرب ، فإنه

ذهب مقـاتلاً إلى يثرب واعتنق اليـهودية هناك وجاء بحـبرين من بني قريظة إلى اليـمن ، فأخذت اليـهودية فى التوسع والانتـشار فـيـهـا، ولما ولى اليـمن بعـده ابنه يوسـف ذو نواس هجم على المسيحيين من أهل نجران ودعـاهم إلى اعتناق اليهودية ، فلما أبوا خد لهم الأخدود ، وأحرقهم بالنار ، ولم يفرق بين الرجل والمرأة والأطفال والشيـوخ ، ويقال إن عدد المقتولين مـا بين عشرين ألفًا إلى أربعين ألفًا وقع ذلـك في أكـتـوبر سنة ٥٢٣ م . وقـد أورد القرآن جزءًا من هذه القصة في سورة البروج .

* كيف انتشرت النصرانية في بلاد العرب

أما الديانة النصـرانية فقد جـاءت إلى بلاد العرب عن طريق احتلال الحبشة والرومان ، وكان أول احتلال لليمن سنة ٣٤٠ م، واستمر إلى سنة ٣٧٨ م ، وفي ذلك الزمان دخل التبشير المسيحي في ربوع اليمن .

ولما احـتلت الأحبـاش اليـمن كرد فـعل لما أتاه ذو نواس ، وتمكن أبرهة من حكومـتها ، أخـذ ينشر الديانة المسـيحيـة بأوفر نشاط حـتى بنى القليس ، وأراد أن يصرف لها حج العـرب حتى أهلكه الله تعالى كما ذكر في سورة الفيل .

وقد اعتنق النصرانية العرب الغساسنة وقبائل تغلب وطيء ،

وغيرهما لمجاورة الرومان ، بل قد اعتنقها بعض ملوك الحيرة .

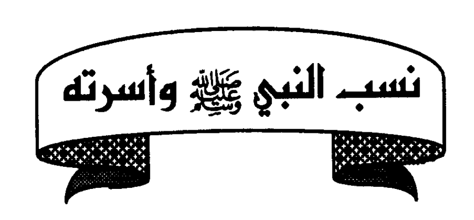
أما المجوسية فكان بعضها في العرب الذين كانوا بجوار الفرس، فكانت في عراق العرب وفي البحرين - الأحساء وهجر وما جاورها منطقة سواحل الخليج العربي ، ودان لها رجال من اليمن في زمن الاحتلال الفارسي .

أما الصائبة فقد دلت الحفريات والتنقيبات في بلاد العراق وغيرها أنها كانت ديانة قوم إبراهيم الكلدانيين ، وقد دان بها كثير من أهل الشام ، وأهل اليمن في قديم الزمان ، وبعد تتابع الديانات الجديدة من اليهودية والنصرانية تضعضع بنيان الصائبة ، خمد نشاطها ، ولكن لم يزل في الناس بقايا من أهل هذه الديانة مختلطين مع المجوس ، أو مجاورين لهم في عراق العرب ، وعلى شواطىء الخليج العربي .

فالعرب كانوا قد أشربوا الشرك وألفوه وغيروا دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

واليهود تحكم الناس وكل أكثر همهم جمع المال والسيطرة على الاقتصاد والنصرانية عادة وثنية عسرة الفهم ، وأوجدت خلطًا عجيبًا بين الله والإنسان .

* * *



هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - واسمه شيبة - بن هاشم - واسمه عجر - بن عبد مناف - واسمه المغيرة - بن قصى - واسمه زيد - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب - بن فهر - وهو الملقب بقريش وإليه تنسب القبيلة - بن مالك بن النضر - واسمه قيس - بن كنانة بن خزيمة بن مدركة - واسمه عامر - بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويتصل بنسب الرسول ﷺ إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام .

*** المولد :**

ولد سيد المرسلين بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، لأول عام من حادثة الفيل ، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان ، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني وعشرين من شهر أبريل ٥٧١ م .



وروى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت : لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام ، وروى أحمد عن العرباض بن سارية ما يقارب ذلك .

وقد روى إرهاصات (مقدمات وتباشير) بالبعثة وقعت عند الميلاد ، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى ، وخمدت نار المجوس ، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاصت البحيرة (غار ماؤها) .

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده ، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة ، ودعا الله وشكر له ، واختار له اسم محمد - وختنه يوم سابعه كما العرب يفعلون ، وقد روى أنه ﷺ ولد مختونًا مكحولاً .

وأول من أرضعه من المراضع بعد أمه ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له مروح ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

* في بني سعد :

وكانت العادة عند الحاضرين من العرب (أهل الحضر) أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ، ابتعادًا لهم عن أمراض الحواضر ،

لتقوى أجسامهم ،وتشتد أعصابهم ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم ، فالتمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ الرصفاء ، واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر - وهي حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب - زوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة .

وإخوته ﷺ هناك من الرضاعة عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وحذافة أو جذامة بنت الحارث وبنتها الشيماء ، وكانت تحضن رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ .

وكان عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعًا في بني سعد بن بكر ، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يومًا وهو عند حليمة ، فكان حمزة رضع رسول الله ﷺ من وجهين من جهة ثويبة ، ومن جهة السعدية .

ورأت حليمة من بركته ﷺ ما قصت منه العجب ، من تدفق اللبن من ثدييها ، وسرعة أتانها (أنثى الحمار) العجفاء ورجوع السمة والقوة واللين إلى شياها (خرافها) العجفاء (الهزيلة) ، وتحول الجدب إلى خضرة في أرضها .

قالت حليمة فلم يبلغ سنتين حتى قدمنا به إلى أمه ونحن أحرص على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، وقلت لها : لو تركت ابني عندى حتى يغلظ ، فإني أخشي عليه

وباء مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا .

وهكذا بقى رسول اللـه ﷺ في بني سعد ، حتى إذا كانت السنة الرابعة أو الخامسة من مولده وقع حادث شق صدره .

روى مسلم عن أنس أن رسول الـله ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فوضعـه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقـة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده إلى مكانه ،وجاء الغـلمان يسعـون إلى أمه يعني ظئـره (مرضعـته) فقالوا : إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

* إلى أمه الحنون :

وخشيت عليـه حليمة بعد هذه الوقعـة حتى ردته إلى أمه ، فكان عنـدها إلى أن بلغ ست سـنين ، ورأت أمـه آمنـة بنت وهب وفاء لذكرى زوجها الراحل أن تزور قبره بيثرب ، فخرجت من مكة قاطعـة رحلة تبلغ خمسمـائة كيلو متراً ، ومـعها ولدها اليتـيم محمـد ﷺ وخادمتـها أم أيمن ، وقيـمها عـبد المطلب ، فمكثت شهراً ، ثم قفلت راجعـة إذ لاحقها المرض ، وألح عليها في الطريق ، فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة .

(ابن هشام ١/ ١٦٨).

* إلى جده العطوف :

وعاد به عبد المطلب إلى مكة ، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تربو نحو حفيده اليتيم الذي أصيب بمصاب جديد بالإضافة إلى الجروح القديمة ، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة بل يؤثره (يفضله) على أولاده قال ابن هشام : كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه من بنيه أحد إجلالاً له ، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام صغير حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا بني هذا فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلس معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

(ابن هشام ١/ ١٦٨) .

لثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره ﷺ توفى جده عبد المطلب بمكة ، ورأى قبل وفاته أن يعهد بكفالة حفيده إلى عمه أبي طالب شقيق أبيه .

* * *

* إلى عمه الشقيق :

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه ، وضمه إلى ولده ، وقدمه عليهم ، واختصه بفضل احترام وتقدير ، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه ، ويبسط عليه حمايته ، ويصادق ويخاصم من أجله .

* يستسقى الغمام بوجهه ﷺ :

أخرج ابن عساكر عن جلاعة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب أقحط الوادي ، وأجدب العيال ، فهلم فاستسق ، فخرج أبو طالب ومعه غلام ، كأنه شمس دجن ، تجلت عنه سحابة قتماء ، حوله أغيلمة (غلمان) فأخذه أبو طالب ، فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ بأصبعه الغلام ، وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من ههنا وههنا ، وأعزق ، وانفجر الوادي وأخضب النادي والبادي ، وإلى هذا أشار أبو طالب حين قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

* بحيرا الراهب :

ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتى عشرة سنة - ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام ، حتى وصل إلى بصرى - وهي معدودة من الشام وقصبة لحوران ، وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرا اسمه جرجيس فلما نزل الركب خرج إليهم ، وأكرمهم بالضيافة ، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله ﷺ بصفته ، فقال وهو آخذ بيده : هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال أبو طالب : وما علمك بهذا ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجدًا ، ولا تسجد إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة ، وإنا نجده في كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده ، ولا يقدم به إلى الشام ، خوفًا عليه من اليهود ، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة .

* حرب الفجار :

ولخمس عشرة من عمره ﷺ كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان ، وكان قائد قريش وكنانة

كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سنًا وشرفًا ، وكان الظفر (النصر) في أول النهار لقيس على كنانة حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس ، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها ، وقد حضر هذه الحرب رسول الله ﷺ ، وكان ينبل (يعد النبل) على عمومته .

* حلف الفضول :

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام ، تداعت إليه قبائل قريش : بنو هاشم ، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ ، وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة ، لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم (الجمال الحمراء وهي خير الجمال) ولو أدعى به في الإسلام لأجبت .

(ابن هشام ١/ ١٨٤ - ١٨٧) .

* حياة الكدح

ولم يكن له (ﷺ) عمل معين في أول شبابه ، إلا أن الروايات توالت أنه كان يرعى غنمًا ، رعاها في بني سعد ، وفي مكة لأهلها .

وفي الخامسة والعشرين من سنه خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها .

قال ابن إسحاق : كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم .

وكان قوم قريش تجارًا .

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرًا ، وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام .

* زواجه من خديجة :

ولما رجع إلى مكة ، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر من قبل هذا ، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من خلال عذبة (طيبة) ، وشمائل (صفات) كريمة ، وفكر راجح ، ومنطق صادق ، ونهج (طريق) أمين ، وجدت ضالتها المنشودة ، وكان السادة والرؤساء يحرصون على زواجها ، فتأبى عليهم ذلك فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه ، وهذه ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة ، فرضي بذلك ، وكلم أعمامه ، فذهبوا إلى عم خديجة ، وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج ، وحضر العقد بنو هاشم ، ورؤساء مُضر ، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين ، وأصدقها عشرين بكرة ، وكان سنها إذ ذاك أربعين سنة ، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلاً ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ عليها غيرها حتى ماتت ، وحين تزوجها لم يكن قد بعث بالرسالة حين ذاك .

وكل أولاده ﷺ منها سوى إبراهيم ، ولد له ﷺ أولاً : القاسم - وبه كان يكنى - ثم زينب ورقية ، وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله ،وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر ، ومات بنوه كلهم في صغرهم .

أمـا البنات فكلهن أدركن الإسـلام فأسلمن وهاجـرن ، إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته ﷺ ، سوى فاطمة رضي الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر ، ثم لحقت به .

* بناء الكعبة وقضية التحكيم :

ولخمس وثلاثين سنة من مولده ﷺ قامت قريش ببناء الكعبة لما سرق كنز الكعبـة ولم يكن لها سقف ، وهدمهـا سيل عرم ، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصًا على مكانتها واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائهـا إلا طيبًا ، فـلا يدخلوا فيـها أجـرة بغي (أجرة بنـات الليل) ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحـد من الناس ، وكانوا يهابون هدمها ، فابتدأ الـوليد بن المغيرة المخزومي ، وتبعه الناس ، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم عليه السلام ، ثم أرادوا الأخذ في البـناء ، فجزأوا الكعبة وخـصصوا لكل قبيـلة جزءً منها ، فجمـعت كل قبيلة حجـارة على حدة ، وأخذوا يـبنونها، وتولى البناء بنَّاء رومي اسـمه ياقـوم ، ولما بلغ البناء موضع الحجـر الأسود اختلفوا فيمن يمتـاز بشرف وضعه في مكانه .

واستمر النزاع أربع ليال أو خمـسًا ، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضـروس في أرض الحرم ، إلا أن أبا أمـية بن المغـيرة

المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ .

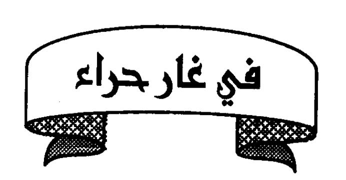
فلما رأوه هتفوا هذا الأمين ، رضيناه ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم ، وأخبروه الخبر ، فطلب رداء ، فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعًا بأطراف الرداء ، وأمرهم أن يرفعوه ، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده ، فوضعه في مكانه ، وهذا حل حصيف (ذكي) رضى به القوم .

وصارت الكعبة بعد إنهائها ذات شكل مربع يبلغ ارتفاعه ١٥ مترًا ، وطول ضلعه الذي فيه الحجر الأسود والمقابل له ١٠ × ١٠ م ، والحجر موضوع على ارتفاع ١,٥٠ م من أرضية المطاف ، والضلع الذي فيه الباب والمقابل له ١٢ م وبابها على ارتفاع مترين من الأرض ، ويحيط بها من الخارج قضبة من البناء أسفلها ، متوسط ارتفاعها ٠,٢٥ م ، ومتوسط عرضها ٠,٣٠ م وتسمى بالشاذروانة ، وهي من أصل البيت لكن قريشًا تركتها .

* بعض صفات الرسول ﷺ :

إن النبي ﷺ كان قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من خيرات ، وكان طرازًا رفيعًا من الفكر الصائب ، والنظر السديد، ونال حظًا وافرًا من حسن الفطنة (الذكاء) وأصالة الرأي وسداد الوسيلة والهدف . وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإمعان الفكرة واستجلاء الحق ، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشئون الناس وأحوال الجماعات ، فعاف (كره) الخرافة ، ونأى عنها ، ثم عايش الناس على بصيرة من أمره وأمرهم ، فما وجد حسن شارك فيه ، وإلا عاد إلى عزلته، فكان لا يشرب الخمر ، ولا يأكل ما ذبح على النصب ، ولا يحضر للأوثان عيدًا ، ولا احتفالاً، بل كان من أول نشأته نافرًا من هذه المعبودات الباطلة ، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها ، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى .

* * *



ولما تقاربت سنه ﷺ الأربعين ، حبب إليه الاختلاء ، فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غـار حراء في جبل الثور ، على مبعدة نحو مـيلين من مكة - وهو غار لطيف طوله أربعة أذرع ، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع ذراع - ومـعه أهله قريبًا منه فيقـيم فيه شهـر رمضان ، يطعم من جـاء من المساكين ، ويقضي وقـته في العبادة على دين إبراهيم والتفكر فيـما حوله من مشاهد الكون ، وفيما وراءها من قدرة مبدعـة ،وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقـائد الشرك المهلهلة ،وتصوراتهـا الواهية (الضعيـفة) ، ولكن ليس بين يديه طريق واضح ،ولا منهج محدد .

وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفًا من تدبير الله له، وليعدَّه لما ينتظره من الأمـر العظيم ،وكـان لابد لروحه من خلوة وعـزلة بعض الوقت ، وانقطاع عن شواغل الأرض وضجة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة .

وهكذا دبر الله لمحمـد ﷺ وهو يعدُّه لحمل الأمـانة الكبرى وتغـييـر وجه الأرض ، وتعـديل خط التـاريخ . . . دبر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات .

* جبريل ينزل بالوحي :

ولما تكامل له أربعون سنة - وهى رأس الكمال - بدأت آثار النبوة تلوح له من وراء الأفق ، وتلك الآثار هي الرؤيا ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، حتى مضت على ذلك ستة أشهر .

ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

فلما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته ﷺ بحراء شاء الله أن يفيض رحمته على أهل الأرض ، فأكرمه بالنبوة ، فأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن .

(فتح الباري ١/ ٢٧) .

ونزل عليه آيات من سورة العلق : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

[العلق : ١ - ٥] .

